

فتح القدير

ثم بين سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنهم لا ينفعون ولا يضرُّون فقال : 14 - { إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم } أي إن تستغثُّوا بهم في النوايب لا يسمعوا دعاءكم لكونها جمادات لا تدرك شيئاً من المدركات { ولو سمعوا } على طريقة الفرض والتقدير { ما استجابوا لكم } لعجزهم عن ذلك قال قتادة : المعنى ولو سمعوا لم ينفعوكم وقيل المعنى : لو جلعنا لهم سماعاً وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع الله منكم ولم يستجيبوا لكم إلى ما دعوتموه إليهم من الكفر { ويوم القيمة يكفرون بشرككم } أي يتبرأون من عبادتكم هم ويقولون : { ما كنتم إيانا تعبدون } ويجوز أن يرجع { والذين تدعون من دونه } وما بعده إلى من يعقل ممن عبدهم الكفار وهم الملائكة والجن والشياطين والمعنى : أنهم يجدون أن يكون ما فعلتموه حقاً وينكرون أنهم أمرؤكم بعبادتهم { ولا ينبئك مثل خبير } أي لا يخبرك مثل من هو خبير بالأشياء عالم بها وهو الله سبحانه فإنه لا أحد أخبر بخلقه وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه وهو الخبير بكله الأمور وحقائقها .

وقد أخرج ابن حجر وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفح فيه فلا يبقى خلق الله في السموات والأرض إلا من شاء الله إلا مات ثم يرسل الله من تحت العرش مني كمني الرجال فتنبت أجسامهم ولحومهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى ثم قرأ عبد الله { الله الذي أرسل الرياح } الآية وأخرج أبو داود والطیالسي وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبیهقی في الأسماء والصفات عن أبي رزین العقيلي قال [قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ قال : أما مررت بأرض مجدبة ثم مررت بها مخصبة تهتز خضراء ؟ قلت : بلى قال : كذلك يحيى الله الموتى وكذلك النشور] وأخرج عبد بن حميد وابن حجر وابن المنذر والطبراني والحاكم وصحه والبیهقی في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال : إذا حدثناكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهم ملك يضمهم تحت جناحه ثم يصعد بهم إلى السماء فلا يمر بهم على جمع من الملائكة إلا استغفر لقاتلهم حتى يجيء بهم وجه الرحمن ثم قرأ { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } قال : أداء الفرائض فمن ذكر الله في أداء فرائضه حمل عمله أولى به وأخرج ابن حجر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وما يعمر من معمر } الآية قال : يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت له ذلك فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتب له بذلك قوله : { ولا ينقص من عمره إلا في كتاب }

يقول : كل ذلك في كتاب عنده وأخرج أحمد ومسلم وأبو عوانة وابن حبان والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : قال رسول الله ﷺ : [يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليلة فيقول أي رب أشقي أم سعيد ؟ ذكر أم أنت ؟ فيقول ﷺ ويكتبهان ثم يكتب عمله ورزقه وأجله وأثره ومصيبيته ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص] وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنمسائي وأبو الشيخ عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة : ﷺ ماما متعني بزوجي النبي وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال النبي ﷺ : [إنك سألت ﷺ لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة ولن يعدل ﷺ شيئاً قبل حلته أو يؤخر شيئاً ولو كنت سألت ﷺ أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل] وهذه الأحاديث مخصصة بما ورد من قبول الدعاء وأنه يعتلج هو والقضاء وبما ورد في صلة الرحم أنها تزيد في العمر فلا معارضة بين الأدلة كما قدمنا وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { ما يملكون من قطمير } قال : القطمير القشر وفي لفظ : الجلد الذي يكون على ظهر

النواة